كلمة مؤسسة كونراد آديناور في لبنان بمناسبة ندوة حول وقاية الشباب من التطرف

فندق الكراون بلازا، الحمرا

فخامة الرئيس،

سيداتي سادتي، يا شباب الغد، صباح الخير،

باسم مؤسسة كونراد آديناور وباسم الممثل المقيم للمؤسسة في لبنان السيد بيتر ريميليه، أرحب بكم وأشكركم على حضوركم معنا اليوم في هذه الندوة حول وقاية الشباب من التطرف، والتي يشرفنا أن ننظمها مع بيت المستقبل.

مؤسسة كونراد آديناور مؤسسة سياسية ألمانية تعنى بمبادئ الحرية والعدالة والتضامن. تضم مكاتبنا في بيروت حالياً ثلاثة برامج، ألا وهي البرنامج الخاص بلبنان، والبرنامج الإقليمي حول حكم القانون في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إضافةً إلى البرنامج الخاص بسوريا والعراق. وتندرج هذه الندوة في سياق مشاريع برنامج حكم القانون الاقليمي لجهة الخطر الكبير الذي تمثله ظاهرة التطرف على الدولة بمؤسساتها وقيمها وشعبها، ولجهة مسؤولية الدولة في الوقاية من هذه الظاهرة للحفاظ على التعددية والعيش المشترك وحقوق الإنسان.

ونظراً لأهمية هذه الظاهرة التي تتزايد يوماً بعد يوم ونظراً لضرورة إيجاد الحلول لوقاية المجتمع منها، كانت قد نظمت مؤسسة كونراد آديناور مشاريع عديدة في هذا السياق. في نطاق

البرنامج الإقليمي، عقدت المؤسسة في العام الماضي ندوة حول الجماعات المتطرفة المسلحة وحكم القانون في الشرق الأوسط، جمعت خلالها عدداً من الأخصائيين والأكاديميين والحقوقيين لدراسة وضع المنطقة وتقديم الاقتراحات. ومن خلال برنامجنا الخاص بسوريا والعراق، نظمنا مؤتمراً مع بيت المستقبل في كانون الأول من السنة الفائتة تحت عنوان "طرق مبتكرة لمواجهة التطرف العنفي". وفي سياق برنامجنا الخاص بلبنان، نعمل على تطوير مفاهيم تؤسس للتعايش السلمي وفض النزاعات، ومن خلال ورش عمل التي نقوم بها مع مختلف الجمعيات والمجموعات للتدريب على فض النزاعات وفن الوساطة، وموضوع التطرف بما في ذلك علاقة مستجدات المنطقة بظاهرة الإرهاب. وسنقوم في نهاية هذه السنة بالشراكة مع معهد عصام فارس في الجامعة الأميركية في بيروت بنشر دراسة حول أسباب وواقع تأثير خطاب الجماعات المتطرفة الإرهابية على المجتمع في المناطق الحدودية والمخيمات في لبنان.

التطرف خطر كبير برهنت التجارب السابقة أن أي محاولة للتصدي له بالعنف أو الوسائل الحربية لا تفشل فحسب، بل تؤدي إلى توليد تطرف أكبر وأعنف وأخطر إن كان في البلد ذاته أو في زاوية أخرى من العالم. فكما قال أحد رؤساء الجمهورية الأميركيين في يوم من الأيام: لا تُهزم الايديولوجيات بالمدافع، بل تُهزم بأفكار أفضل. ونحن نفتقر اليوم إلى كثير من الأفكار الجيدة والمبتكرة والجديدة. ومن هنا ضرورة الوقاية من التطرف ومعالجته عبر خطة متكاملة وشاملة تبدأ من جذور مشكلة التطرف وأسبابه الحقيقية، وتركز بخاصة على الشباب، إذ أنهم الأكثر عرضة للتأثر بهذا النوع من الخطابات.

لقد تعودنا أن نستعيض عن معالجة الأسباب الحقيقية التي تؤدي إلى مثل ذلك اليأس، بانتقاد مظاهره واستنكارها لبعض الوقت، ثم نضع القضية جانباً كأن شيئاً لم يكن. فننسى أننا نعاني من تهميش للشباب في السياسات وصنع القرارات، وننسى أننا نعاني من أنظمة تعليمية قاصرة، وأنظمة اقتصادية عاجزة عن خلق فرص العمل اللازمة لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الشباب الذين يشكلون ثلث سكان العالم العربي، والذين يعانون من معدل بطالة تعدى 30% بينهم. هذا بالإضافة إلى الأنظمة السياسية القامعة للحريات في حين، والمبنية على أساس طائفي يحد من تطلعات الأفراد ويولد سباقاً على السلطة بين الطوائف والأديان في حين آخر، أو الاثنين معاً. ذلك من دون أن ننسى العوامل الخارجية، أي السباق على السلطة من قبل الدول الكبرى التي تستخدم الدين لتضم أكبر عدد من الناس حولها، أو الاستعمارات السابقة التي تركت أثر قمعها لدى الشعوب المستعمَرة، أو الاحتلالات والهزائم العسكرية التي تولد شعوراً بالإذلال، أو حتى الحروب والتدخلات الخارجية التي ينتج عنها شعور الرغبة باليأس والانتقام.

وما يجمع بين جميع تلك العوامل فكرتين: أولاً، غياب المحاسبة: محاسبة الأفراد تجاه بعضهم البعض، الحكومة تجاه مواطنيها، والدول الكبرى تجاه الدول الأخرى والمجتمع الدولي. وثانياً، الاحساس بالظلم وفقدان الثقة بالدولة وبالمجتمع الدولي، مع انعدام المثل الأعلى والهدف الأسمى مما يؤدي إلى فقدان الأمل بحياة أفضل بشكل عام. وأمام غياب الرادع لدى الظالم، قد يستسلم الفرد فيقع في الكآبة أو ينجر نحو المخدرات أو حتى الانتحار، مثل الشاب التونسي الذي قام بإضرام النار في نفسه، أو الشباب الأردنيين العاطلين عن العمل الذين حاولوا الانتحار منذ بضعة أشهر. وقد يلجأ إلى

العنف فيقرر أخذ حقه بيده. وتساهم العولمة ومراكز التواصل الاجتماعي والانترنت في التعبئة السريعة ونشر المعلومات صحيحة كانت ام مغلوطة.

وفي غياب الحلول والبرامج الاصلاحية، تتدخل الجماعات الإقصائية لتحاكي الشباب بلغة يفهمونها، هي لغة اليأس من الفقر والظلم والقمع وعدم مبالاة الحكام بالشعب والتدخلات الخارجية، فتقدم لهم بديلاً لما يعيشونه، باسم دين تحرّفه لتشريع وسائلها الإجرامية كما الحال مع داعش والقاعدة وغيرها التي تجاوزت حدود الشرق الأوسط لتحاكي الشباب في مختلف دول العالم، أو باسم قومية وطنية عنصرية وهذا ما نراه اليوم في أوروبا وأميركا مع تقدم الأحزاب اليمينية المتطرفة وزيادة شعبيتها لدى الشباب، وإن رأينا بصيص أمل البارحة مع الانتخابات في النمسا ضد التيار المتطرف اليميني.

وأخيراً علمنا التاريخ أن الفراغ إن لم نكن على استعداد لملئه، يملأه الآخرون – إيجاباً أو غالباً سلباً. ولذلك أتمنى أن نتوصل معاً من خلال هذا المؤتمر إلى طرق جديدة وفعالة لوقاية الشباب من التطرف.

وأتمنى لكم مؤتمراً مثمراً ونقاشات شيقة.

هناء ناصر

المديرة التنفيذية لمؤسسة كونراد آديناور في لبنان